«القدس في المنفى».. مشروع فني يدافع عن الصورة العربية للمدينة..

مشهد من القدس القديمة ، ستيف سابيلا

□ الوطن

«القدس في المنفى- ذكريات مُجسّدة» مشروع فني مميز لفت الانتباه منذ إطلاقه عام ٢٠٠٦، فهو من جهة مشروع فني عربي عن القدس المحتلة من قبل مبدعين فلسطينيين موجودين داخل القدس، يواجهون من خلاله عشرات المشاريع الدعائية الإسرائيلية، عن المدينة المحتلة التي تحاول نفي الهوية العربية عن القدس، ومن جهة أخرى هو مشروع جماعي يتوجه إلى الأفراد الفلسطينيين(والعرب أيضاً) عبر العالم، ليرسلوا صورهم الذهنية لمدينة القدس، حتى يتم نشرها على الموقع الالكتروني -وهو موقع اطلق بخمس لغات عالمية- ليتم فيما بعد تحويلها إلى صور فوتوغرافية فنية. وكون المشروع يجري على شبكة الانترنت بخمس لغات هي العربية والاسبانية والانجليزية والفرنسية والألمانية www.jerusalem-in-exile.net فإن ذلك يتيح نقل صورة القدس العربية إلى العالم الذي يتعرض لضخ إعلامي كبير يستعمل الفنون لإظهار صورة القدس كـ«مدينة إسرائيلية»!

الصور في أذهان الناس ستتحول إلى لوحات فوتوغرافية على يد ستيف سابيلا الذي يعد من أبرز الفنانين الفوتوغرافيين الفلسطينيين. وبعد ذلك ستكون بحسب سابيلا «جزءاً من معرض عالمي حول صورة القدس، وسيتم جمعها في كتاب فني وربما عدة منشورات...لكن ما يهمنا الآن هو أن نتلقى مشاركات من كل إنسان لا يستطيع وصول القدس لانها محتلة».

فكرة مشروع «القدس في المنفى» جاءت من الفنان ستيف سابيلا ويقوم بتنفيذه مع الشاعر نجوان درويش، والمشروع يثير الاسئلة حول«صورة القدس»، ويسعى لان يكون بؤرة تبادل أفكار وتواصل بين الفلسطينيين في الشتات حول صورة القدس ورمزيتها. الذي ينطلق من مساهمة الفن في تطوير رؤى وأفكار بصرية حول موضوع القدس وصورتها.

فكرة «القدس في المنفى» تسقط مفهوم المنفى على المكان، وعليه فالقدس بحسب هذا المشروع «مدينة منفية»، مثلها مثل أهل العرب والفلسطينيين الممنوعين من الوصول إليها. وبما أن الفن اليوم صار مرتبطاً بالمفاهيم والبحث، فمشروع القدس يهدف إلى «فحص صورة القدس الرمزية وإخراجها من بلادة الشعار إلى ديناميكية الحياة وأسئلة الفن، لتجديد هذه الصورة وشحنها بعناصر ممانعة لا تطويها التحولات التي يتم فرضها على أرض الواقع».

يتوجه المشروع بالدعوة للأفراد الفلسطينيين أينما كانوا،سواء في الشتات أو في الوطن، من الذين لا يستطيعون الوصول إلى القدس، للمشاركة عبر إرسال وصفهم لصورة القدس في مخيّلاتهم، ليتم تجسيدها في أعمال فنية فوتوغرافية. اما ما هي الصورة الذهنية فهي «أول صورة تخطر في مخيلة الإنسان بمجرد ذكر اسم القدس، بناء على تجربته الشخصية». من جهته يقول الشاعر نجوان درويش أن المشروع «رغم كونه بحثاً في العلاقة البصرية مع مدينة القدس ومنطلقاته الفنية بالأساس، إلا أنه واع تماماً لدوره كفن في فترة تحرر وطني، وعليه فإنه يسعى لخلق تواصل بين الفلسطينيين في الشتات بأجيالهم المختلفة مع القدس، وما تشكلّه من معنى وطني وإنساني يجمع الفلسطينيين حوله».

يذكر أن المشروع قد نشر على موقعه الالكتروني مجموعة كبيرة من المشاركات التي تلقاها باللغتين العربية والإنجليزية، أرسلها فلسطينيون وعرب من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولندا والأردن وفلسطين والبحرين والمغرب.. وقراءة هذه المشاركات تشبه السفر في صورة القدس ،وأشواق أهلها المنفيين ، في لحظة تاريخية هي ربما الأصعب التي تمر بهاالمدينة المحتلة .

موقع مشروع القدس في المنفى:
www.jerusalem-in-exile.net

ستيف سابيلا.. خيط متين من الضوء

تشكل الذاكرة والمخيّلة والمكان ،ثلاثة مستويات من العناصر الأساسية المتضافرة والمكوّنة، لأعمال ستيف سابيلا الفنّية في الفوتوغراف والتشكيل، يبدو هذا واضحا عند النظر إلى أعماله السابقة التي قدمها في ستة معارض فردية منذ النصف الثاني من تسعينات القرن الماضي حتى الآن.

تظهر هذه العناصر الثلاثة في أعماله، باستعمال تقنيات فوتوغرافية مختلفة كعلب الضوء والحجارة والصناديق الخشبية، واستعمال الصور الذهنية كمادة، وأيضاً من خلال الجسد نفسه.

تشكل مدينة القدس، التي ولد ستيف في بلدتها القديمة، تجسيداً حياً للعناصر الثلاثة المذكورة، وإن لم تظهر بشكل مباشر في أعماله الفنية- خصوصاً أعماله الأولى. لكن المتابع لمسار ستيف وتوالي مشاريعه الفنية، يلحظ أن القدس تجمع أعماله مثل خيط متين من الضوء.

القدس- بحكم رمزيتها الفائقة- موضوع فنّي صعب، يضع أي فنان امام تحديات ومزالق فنيّة، ليس أقلها السقوط في «الكليشهات والكيتش». وقد استطاع ستيف بشكل استثنائي التحرر من هذه المزالق، ليعثر على «قدس بإمكانه أن يتنفّس فيها هواء نقياً» كما كتب الفنان كمال بلاطه حين تناول تجربة ستيف .

هذا الخيط الذي بدأ يتّضح في معرض «حتى النهاية- روح المكان»٢٠٠٤، الذي قدّم فيه صوراً من القدس «حمضها» فوق حجارة حملها من أماكن شخصية وحميمة لديه، في محاولة منه للامساك بذاكرة المكان، والتحولات التي تجري عليها وتتهددها. أما في عمله «كان ياما كان» -الذي نفّذه بروح جماعية مع فنانين آخرين- فنلحظ نقلة فارقة في مسار ستيف؛ تتمثل في إقباله على موضوع جمعي بمعالجة مباشرة. وقد اتسعت مع هذا الموضوع رؤيته الفنية وصارت أكثر تماسكاً، وتطورت معالجته لمفهوم الذاكرة.

في المشروع الفنّي الأخير«القدس في المنفى - ذكريات مجسدة» نجد الذاكرة والمخيلة والمكان في مساحة أكثر ديناميكية؛ الا وهي مخيلة الناس- الذين يعتمد المشروع على مشاركتهم في تكوينه. وبالإمكان القول أن المشاريع الفنية السابقة التي قدمها ستيف، تبدو كما لو انها تحضيراً وتأسيساً لـ«القدس في المنفى».

ما الصورة الأولى التي تخطر ببالك عن القدس؟

صعب صعب يا صديقي!

■ صديقي نجوان، في حزيران من عام ١٩٩٧، ركبت في سيارة مرسيدس أجرة من نابلس متجهاً إلى رام الله لاركب أخرى من نفس النوع منطلقة إلى القدس عبر طريق حزمة -عناتا، أي الطريق الإلتفافي عن حاجز الرام آن ذاك وبكلمة أصح (القدس على اللفة) وبكلمة أدق أكثر(تهريب)، وفي كل مرة كنت ارتكب فيها هذه المغامرة ، كنت لا أستطع النوم في الليلة التي قبلها وأنا عادة لا أستطيع النوم وأنا في حالة سفر، وبكلمة أدق أنا كائن ليلي قلق ولا انام بسرعة.

وإذ بالسيارة قطعت بلدة حزمة ومتجهة نحو «عناتا» لأتفاجأ أنا والركاب بطابور من السيارات يقف وينتظر دوره للتفتيش يعني (حاجز عسكري) وبكلمة أدق (حاجز طيَّار)، فلم يكن بوسعي في هذه اللحظة سوى النزول من السيارة والرجوع لأني لا أملك التصريح اللازم لدخول المدينة، وفعلاً نزلت من السيارة واردت الذهاب على الإتجاه الآخر من الشارع لانتظر سيارة آتية من الجهة الأخرى ولكن وقوف بعض الجنود على مستوى النظر الذي سأقف عنده منعني من ذلك، واضطررت أن أجلس عند بعض الصخور الكبيرة الموجودة على جانب الطريق لانتظر على الاقل ذهاب الجنود لاتمكن من الدخول إلى القدس أو الرجوع إلى رام الله، وحينها سرقني النوم ونمت بسرعة واستيقظت بعد ساعة ونصف الساعة من حرارة الشمس الشديدة على رأسي، وكانوا حينها قد انصرفوا هم وحاجزهم (الوهمي) وأخذت اول سيارة ذاهبة إلى القدس، وعند باب العامود هممت بالنزول من السيارة، وفي تلك اللحظة مثل كل مرة كدت أن أسقط وكأني لا أستطيع الوقوف ،على أرجلي وهذا من جراء (الشمس) التي ضربتني وأنا نائم، وبكلمة أدق يقولون (أكل ضربة شمس)، والآن تسألني يا صديقي الشاعر ما الصورة الأولى التي تخطر ببالك عن القدس؟ صعب صعب يا صديقي .

إنتظر إنتظر، تذكرت، الصورة هو أني إلى هذه اللحظة كلما يخطر ببالي هذه المدينة، او آتى أنا على بالها أحاول أن أتذكر من كان يضربني كلما وصلت إلى هناك.

هاني زعرب
باريس ٢٠٠٧

■ «صورة القدس» لدى الفنان هاني زعرب كما أرسلها لـ«القدس في المنفى».